وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵖⵉⵣⵔⵉⵙⵓⵙⵏⵜⴰⵙⵉⵏⵜⵙⵙⵉⵓⵣⵙⵙⵓⵙⵏⵜⵙⵙⵉⵓⵣⵙⵙⵓⵙⵏⵜⵙⵙⵉⵓⵣⵙⵙⵓⵙⵏⵜⵙ
ⵜⵓⵣⵔⵓⵜⵜⴰⵏⵜⵉⵏⵜⵙⵏⵜⵜⵓⵣⵔⵜⵜⵙⵏⵜⵜⵓⵣⵔⵜⵜⵙⵏⵜⵜⵓⵣⵔⵜⵜⵙⵏⵜ
ⵜⵓⵜⵙⵙⵎⵓⵖⵉⵜⵓⵙⵎⵉⵍⵉⵜⵙⵙⵎⵓⵖⵉⵜⵓⵙⵎⵉⵍⵉⵜⵙⵙⵎⵓⵖⵉⵜⵓⵙⵎⵉⵍⵉⵜ

UNIVERSITÉ MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTÉ DES LETTRES ET DES LANGUES

DÉPARTEMENT DE LANGUE ET LITTÉRATURE ARABES

جامعة مولود معمري تيزي وزو.

قسم اللّغة العربيّة وآدابها.

كليّة الآداب واللّغات.

الميدان: اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات أدبية

التّخصّص: أدب عربي حديث و معاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر.

عنوان المذكرة :

التّاريخ المغيّب في رواية "شبح الكاليدوني" لمحمّد مفلاح.

إعداد الطالبة :

- بن حمو كريمة

تحت إشراف الأستاذة:

- العقريب نعيمة

أعضاء اللجنة المناقشة المقترحة:

د. نوارة ولد أحمد	أستاذة محاضرة – أ–	رئيسا
د. نعيمة العقريب	أستاذة محاضرة – أ–	مشرفا مقررا.
د. شامة مكلي	أستاذة محاضرة – أ–	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021 م/2022 م.

الإهداء

الحمد لله الذي عمت حكمته الوجود وشملت رحمته كل موجود ،نحمده سبحانه وتعالى ونشكره بكل لسان محمود ، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، الغفور الودود ،وصلى الله على الرسول مصطفى نبراس العلم في مشارق الأرض ومغاربها ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود أما بعد:

أولا وقبل كل شيء اشكر الله تعالى واحمده على نعمه التي أنعمها عليا، ثانيا أتقدم بجزيل الشكر لكل عائلتي :

أمي الغالية قرة عيني وأبي العزيزوإخوتي حسين رابح وفريد وبالخصوص أخي الكبيررشيد كذلك أخواتي فاطمة ،فتيحة، ونادية مع كل عائلاتهم اللواتي دعمنني بالدعاء والكلام الطيب و أيضا خطيبي الذي سبر معي ووقف إلى جانبي في أصعب الأوقات التي مررت بها، وأجه كذلك تحية عطرة للأصدقاء والجيران و أيضا للأهل التربوي من الأساتذة و الإداريين.

أخص الاحترام والتقدير للأستاذة المشرفة "العقريب نعيمة"التي رافقتني طيلة إنجازي لبحثي هذا .

مقدمة

تعمد العلوم الإنسانية المختلفة إلى دراسة العلاقة الجدلية بين الإنسان والتاريخ واستيعاب أبعادها، مثلما تقدمه علوم التاريخ والأنثروبولوجيا والاجتماع وغيرها من نظريات ومعارف ورؤى مختلفة، وذلك في محاولة لتفسير العلاقة المركبة بين الإنسان من جهة، والمنظومة التاريخية والثقافية من جهة أخرى.

وتعد الرواية جنسا أدبيا نثريا سرديا تخيليا، تحاول التقاط ما هو جوهري وجدلي في علاقة الإنسان بالتاريخ، لتسهم بشكل فاعل وحاضر في تقديم صورها لهذه العلاقة وفق منظورها الفني الخاص، وضمن حقول الفن والآداب المختلفة، جنباً إلى جنب مع العلوم الإنسانية الأخرى.

ونجد الناقد" محمود أمين العالم" يجعل الرواية بشكلها العام على أنها تاريخ متخيل داخل التاريخ الموضوعي، وبهذا نحن نلتمس الخيط الذي يشد الرواية إلى التاريخ عبر اشتراكهما في العناصر الرئيسية: الانسان والزمان والمكان، وأكثر من ذلك اشتراكهما بالقصّة أو الطابع القصصي.

تفرز الرواية الأدبية في محتواها كل من : الرواية الاجتماعية والرواية الواقعية بأنواعها، والرواية الجديدة، والرواية التاريخية وغيرها، ونلاحظ أن للرواية التاريخية علاقة خاصّة بالتاريخ، مستمدة من موضوعها وأسلوبها، وهي تشترك مع الرواية الأدبية –بصورة عامّة –في وجود بنية تاريخيّة تتأسس عليها، بمعنى وجود فضاء وأحداث وشخوص كما في الواقع، إلاّ أن الرواية التاريخية تنطلق من أحداث وذوات حقيقية مختلفة في الغالب، وتشكل جزءاً من تاريخنا وماضينا الممتد حتى اللحظة الراهنة.

تقوم الرواية ابتداءً على بنية زمنية تاريخية، تتشخص في فضاء تاريخي، يمتد من الماضي وحتى اللحظة الراهنة أو القادمة، تضيئه أحداث تحييها شخصيّات إنسانية فنية، حيّة وكاملة.

وتعمل الرواية على استكانة وحدة الجوهر الإنساني الثابتة عبر امتداد التاريخ، في سبيل التقاط كل ما هو إنساني وأصيل وصادق، وهي إذا تستخدم نظرة علوم الاجتماع والتاريخ والفلسفة وعلم النفس لتدرس من خلالها أعماق النفس البشرية وكينونتها التاريخية والاجتماعية.

ومن الصعب الإحاطة بمختلف القضايا والإشكاليات التي يطرحها "تصور الرواية التاريخية "في أدبنا العربي الحديث والمعاصر، بل إن الإحاطة بمختلف الأسئلة المتصلة بالرواية العربية عموماً، تتنوع وتتعدد بحسب المقتضيات النظرية والتعبيرية التي تخص سؤال الكتابة وإنجازاته التخيلية، وهذا ما يجعل أسئلة الرواية متجددة باستمرار ليبقى النثر الروائي إسهاماً معرفياً وثقافياً مخصّباً للرغائب والأحلام والذوات.

تتعدد الهواجس التي تستأثر باهتمام الروائيين الجزائريين المعاصرين، وتتباين الإشكالات التي تستقطب انشغالاتهم، من بين موضوعات شتى من قبيل سيرهم الذاتية، ومسارات غيرهم، ومحن وطنهم وتاريخ بلادهم وفي هذا المضمار، انبرى الروائي الجزائري «محمد مفلاح » في روايته "شبح الكاليدوني" لاستلهام مضامين تاريخية وطنية مغيّبة، واستنطاق حقب زمنية مهملة مرّت بها الجزائر عبر سنين طوال.

ويشتغل في هذا المضمار، النقد الثقافي بتبيان الأبعاد الثقافية: الاجتماعية والفكرية والتاريخية للنص، ومدى تفاعله مع الثقافة، كما يربط البنية اللفظية بالأنساق الثقافية المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الأدبي والفني بكل تجلياته وأنماطه،

ومن هذا المنطلق تمت هذه الدراسة الموسومة بـ" **التاريخ المغيَّب في روية شبح الكاليدوني لمحمد مفلاح**" قصد استكشاف النسق التاريخي المنطوي تحت تلك المضامين التاريخية الجزائرية السخيّة المهيمنة على غيرها من الأنساق الثقافية المضمرة في رواية "شبح الكاليدوني""لمحمد مفلاح" ، إذ يبدو الروائي متبنيا لمشروع ثقافي وأدبي متفرد، حتى كأنه يمارس من خلال كتابته السردية ما يطلق عليه تجاوزا بتسريد التاريخ، في محاولة منه استنطاق الحقب الزمنية الرسمية بوصفها هامشا مغيبا من التاريخ الرسمي الجزائري بوصفه مركزا متعاليا.

ومن الأسباب التي دفعت بي لاختيار الموضوع هي حب الاكتشاف لأن أي إنتاج فكري لابد أن يلقى الاهتمام من أبنائه وإلا بقي في دائرة الظل فأما الأسباب الموضوعية هي محاولة تكسير العلاقة المركبة بين الإنسان من جهة المنظومة التاريخية و الثقافية من جهة أخرى ، و كذا دراسة العلاقة الجدلية القائمة بين الإنسان و التاريخ و استيعاب أبعادها مثل :ما تقدمه علوم التاريخ و الأنثروبولوجيا و الاجتماع و غيرها من نظريات و معارف.

ويظل "مفلاح" في هذه الرواية وفيا لتقاليده في الكتابة السردية التي تجمع بين الذاكرة التاريخية والمتخيل السردي، ومن ثمة، فإننا نسعى إلى طرح إشكاليات عدة نذكر منها:

إلى أي مدى أصاب "مفلاح" في تجربته الخاصة بتسريد التاريخ المحلي؟ وكيف تمكن من دمج التمثل الثقافي التاريخي بالتخيل الإبداعي السردي؟

وقد ارتأيت أن المنهج المناسب لهذه الدراسة هو المنهج الوصفي مع الاستعانة ببعض الإجراءات السيميائية السردية لأنها الأنسب لهذه الدراسة. وقد فرضت علينا مادة الدراسة تقسيم البحث إلى: مقدمة، فصلين وخاتمة.

كان حديثي في الفصل الأول عن الرواية التاريخية، حيث قمت بتعريفها ومحاولة تحديد الفرق بين المؤرخ والروائي، كما قمت بالتطرق إلى توضيح التاريخ الرسمي (المركزي) والتاريخ الهامشي في الرواية التاريخية، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا؛ حيث تناولت فيه تمظهرات التاريخ في رواية "شبح الكاليدوني" حيث ضم ملخصا شاملا عن الرواية ثمّ الحديث عن الأبعاد التاريخية، الشخصيات والأمكنة المرتبطة بالرواية في رواية "شبح الكاليدوني" ؛ وختمت البحث بخاتمة اشتملت خلاصة تم فيها عرض النتائج التي توصلت إليها، وسعيا لتحقيق ذلك اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع ،أهمها: « قاسم عبده– الرواية التاريخية في الأدب العربي» ، «فيصل دراج –الرواية وتأويل التاريخ ».

وقد جرت العادة في مثل هذه الأبحاث أن يؤتى على ذكر الصعوبات التي اعترضت الباحث فإني سأحيد عن المألوف فلا أعد ما صادفني صعوبة، بل هو شرف لا يحظى به إلا منّ وفقه الله في مهمته، لاستكمال الدراسات العليا، فالحمد الله من قبل ومن بعد.

وبعد أسال الله أن يساهم هذا البحث ولو بالشيء اليسير في خدمة المجال النقدي والأدبي وهذا ما يصبو إليه كل باحث، واستطعت ذلك إلا بتوفيق من الله أولا، وبجهد وصبر الأستاذة الفاضلة " **العقريب نعيمة**" معي ثانيا فشكرا لها، فإن أحسنت فبها وإن قصرت فمن نفسي، وسبحان من له الكمال وحده، فمنه السّداد وبه التوفيق وما تمّ الكمال إلا لكتابه عزّ وجل.

الفصل الأول:
تحديد مفاهيم البحث

الفصل الأول: تحديد مفاهيم البحث:

تؤسس الرواية عالمها المتخيّل على إقامة علاقات مع ألوان إبداعية أخرى، والحقّ أنّ تلك العلاقات كانت ولا تزال محلّ اهتمام دراسات نقدية كثيرة، ولعل ما يثير الانتباه، أن الرواية بوصفها جنسا أدبيا، تجاوزت في علاقاتها الأجناس الأدبية، ومدت جسورا بينها وبين شتى الحقول المعرفية، كالتاريخ مثلا هذا الأخير الذي ينحت جلّ كُتّاب الرواية منهم الحكائي استنادا إليه، نقدا ومحاورة وانبهارا، واعادة صياغة...[1].

إن الرواية التي تحاور التاريخ، رواية تحاول إثارة الحاضر استنادا إلى ما حدث في الماضي، وقدم المؤرخ صياغة معينة له، وعليه يمكننا القول إن الرواية تهدف من خلال تعاملها مع التاريخ أساسا، إما إلى إعادة بعث ذلك التاريخ وتأكيد قداسته، وإما إلى نقده وتبيان ما أغفله، أو تجاوزه، أو لم يمنحه حقه، ذلك أن التاريخ يكتب غالبا– وفق قناعات نخب سلطوية تروم إحاطة ماضيها بهالة من رفعة، لن تأتي إلا بطمس وتغييب تاريخ صناع التاريخ الحقيقيين، إن مدوّن التاريخ الذي يعتبر صاحب سلطة في كتابة التاريخ، لا يعدو أن يكون – في أغلب الأحيان – أداة تحركها تلك النخب وفق ما يخدم مصالح مرحلية ضيقة [2].

وسنتكلم هنا عن الرواية التاريخية، التي يعتبر الحدث التاريخي ركيزة أساسية في بنائها الهيكلي، بكل ما لذلك الحدث من انتماءات إلى حقبة زمنية معينة.وعليه سنحاول في هذا الفصل تناول بعض النقاط التي تسهم في تقديم لمحات نظرية عن الرواية التاريخية.

---

[1]– قايد محمد، استحضار التاريخ في الكتابة الروائية، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 12، العدد 2، 2017، ص75.

[2]– المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

1-تعريف الرواية التاريخية Roman historique:

تعرف الرواية التاريخية Roman historique على أنها "سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية... تنحو الرواية التاريخية غالبا إلى إقامة وظيفة تعليمية وتربوية"[1].

ولكن ليس دائما بالطرق التبسيطية، خاصة عندما يتعلق الأمر باستخلاص فردية الشخصيات من الطابع التاريخي الخاص لعصرهم[2]، من خلال التركيز على محطات مهمة في تاريخ أمة من الأمم، مع ما يصادفه الروائي من صعوبات في اجتراح حلول تخييلية تُمكنه من تجنب انزلاقات كتابة تتموضع على التخوم بين علم يتوخى الدقة وتَخييلٍ يصبو إلى التحرر كلما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ويصنف الحديث عن الرّواية التاريخية ضمن النقاش المستمر حول العلاقة بين الرّواية والأجناس الأدبية والحقول المعرفية المجاورة، خاصة تلك التي ترتبط بها الرّواية بِعُرى وثيقة مثل التاريخ، فتنهض الكتابة السردية على كثير من مظاهر التلوين الأجناسي وقد ظهرت هذه الأعراض خاصة على الرّواية التي أخذت تُطعم عوالمها بعوالم الأجناس الأدبية الأخرى، وتُتَبَلُ لغتها وأدواتها بلغات وأدوات تعبيرية جديدة[3]، فكان أن حاورت روايات كثيرة التاريخ، وتذكر الدراسات الكاتب الانجليزي «السير والترسكوت – Sir Walter Scot» (1771/1832) على أنه رائد الّرواية التاريخية لدى الغرب، وتعتبره دراسات كثيرة الأب المؤسس للرواية

---

[1] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني للنشر، ط1، بيروت، 1985، ص103.

[2] إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، د ط، 2000، ص178.

[3] كمال الرياحي، حركة السرد الروائي ومناخاته (في استراتيجيات التشكيل)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005، ص17.

التاريخية، من رواياته (إيفانهو Ivanhoé) وقد تحدث "سكوت" عن خصائص تميّز الرواية التاريخية، من بينها[1]:

- ✓ خصوصية الفترة الزمانية المعالجة، التي عادة ما تتسم بالاضطرابات والتغيرات الحاسمة.
- ✓ الارتباط بذاكرة تاريخية ماضية سبقت زمن كاتبها بجيل واحد على الأقل، بغية منح الرّواية وكاتبها فرصة لفهم ملابسات ما مضى.
- ✓ خصوصية الشخصيات، حيث غالبا ما ترتبط الرّواية التاريخية بمسعى تمثل سير شخصيات أثرت في عصرها وتأثرت به.
- ✓ الطول النسبي للرواية التاريخية.
- ✓ حضور الآخر بوصفه معتديا، ما يؤثثها بالصراعات.
- ✓ تضمُنها تيمة الأَسر والسجن والمطاردة.
- ✓ معالجتها لقضايا الإبعاد القسري الشخصيات بعينها عن الأهل والوطن.

ويمكن أن تضيف هنا تركيز الرواية التاريخية نظرا لانتمائها إلى الرواية الجنس الأساس، على التفاصيل التي قد يكون المؤرخ رسمها سهوا أو عمدا، إذ لا تتهاون الدراسات في التأكيد على الاختلافات الجوهرية بين التاريخ والرواية شكلا ومضمونا.

يعرّف« جورج لوكاتش » الرواية التاريخية بأنّها "رواية تاريخية حقيقية، أي رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق للذات". [2]

---

[1] فاطمة إلياس، من محاكاة التاريخ إلى محاكمة التاريخ (الرّواية التاريخية بين الواقع التخييل)، المصدر: مجلة علامات في النقد النادي الثقافي ، جدة، ج69، مج18، السعودية ،فبراير 2009، ص:420-422.

[2] جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، تر: د صلاح جواد كاظم، دارالشؤون الثقافية العامة بالعراق ، ط2،ع 1، بغداد، 1986م، ص89.

فهي بالتالي "عمل فنّي يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنّها لا تنقل التاريخ بحرفيته، بقدر ما تصوّر رؤية الفنّان له وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه، أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة له".[1]

أدت الرواية التاريخية في الأدب العربي دورا بارزا في تحقيق أهداف سعت إلى بلوغها، فقد هدفت إلى بث الروح في الماضي من أجل قراءة الحاضر واستشراف المستقبل والاستفادة منه عبر التاريخ، وإذا كان التاريخ يعرّف بأنه:" الأحداث والوقائع التي وقعت في الأزمان الماضية فالرواية التاريخية هي نصّ تخيّلي نسج حول وقائع وشخصيات تاريخية".[2]

أما عند الكاتب "سعيد يقطين" فالرواية التاريخية هي: "**عملٌ سردي يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيّلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة**". [3]

إذن تحضر المادة التاريخية بقوة في الرواية التاريخية، ولكنها غير جامدة، بل تقدم بطريقة فنية وإبداعية، لذلك يلجأ الذين درسوها إلى المقارنة بين السرد التاريخي والرواية التاريخية مفرقين بينهما من جهة الحقيقة والخيال، فالسرد التاريخي يقدم الحقيقة ويسرد الأحداث المطابقة للوقائع، بينما الرواية التاريخية أقرب إلى التخيل والإبداع.

---

[1] عبد الحميد القط ، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، ط 1 ، القاهرة، 1982، ص33.

[2] محمد القاضي. الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، تونس، 2008، ص145.

[3] سعيد يقطين. الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي. مجلة نزوى، العدد 44 .
http://www.nizwa.com/articles.php.بتاريخ: 22-07-2009م.

واعتبرت الدكتورة «هالة فؤاد الرواية المتعلقة بالتاريخ والمتصلة به هي:"**أكثر النصوص الروائية وفرة وكثافة في مساحات التخيل، وحدة المباغتة، وعمق الالتباس، وثراء الحيرة والدهشة العارمة المثيرة**". [1]

ويتجاذب الرواية التاريخية هاجسان هما: "الأمانة التاريخية بمعنى موافقتها للمصادر التاريخية من نهوض وسقوط الدول والحروب والحوادث والوقائع، والآخر له علاقة بمكونات الفن الروائي وحاجاته الجمالية."[2]

فكلّ نصّ كما ينقل «محمد القاضي »عن «رولان بارت »هو : "**نصّ جامع تقوم في أنحائه نصوص أخرى في مستويات متغيّرة، وبأشكال قد نعرفها إن قليلا أو كثيرا: هي نصوص الثقافة السابقة، ونصوص الثقافة الراهنة. فكل نصّ نسيج طارف من شواهد تالدة.**"[3]

ويرجع الدكتور« قاسم عبده قاسم » ازدهار الرواية التاريخية العربية إلى عوامل تتعلق بالروائي و كذا بالقارئ ويقول إن الأسباب والعوامل الاجتماعية والسياسية التي يعيش الروائي في فضائها، بالإضافة إلى"عوامل البنية الفكرية والثقافية للروائي نفسه ومدى وعيه بأهمية دوره والوظيفة الثقافية–الاجتماعية للرواية. وربما كان الموقف السياسي أو الأيديولوجي للروائي من بين الأسباب التي تدفعه إلى اختيار الرواية التاريخية مجالا لإبداعه."[4]

---

[1] هالة أحمد فؤاد. "المتخيل الروائي بين التاريخي والميتافيزيقي". في: تجارب في الإبداع العربي، وزارة الإعلام–مجلة العربي. ط1، الكويت، 2009، ص: 250–253.

[2] مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، ط1، مج1، تونس، 2010، ص210.

[3] محمد القاضي، الرواية و التاريخ، ص 23.

[4] قاسم عبده قاسم. "الرواية التاريخية العربية: زمن الازدهار". في تجارب في الإبداع الأدبي، دار العين للدراسات و البحوث الإنسانية أو الاجتماعية، مصر، 2010، ص: 236–249.

إنّ سمات الرواية التاريخية الجمالية، وما تحويه من مضمون عميق، أتاح لها العودة إلى الماضي والعمل على تأصيله، كما أنها حملت الماضي إلى الحاضر بعد أن أعادت فيه الحركة والحيوية والحياة والتجدد وملأته بالدلالة.[1]

2-بين الروائي والمؤرخ:

إنّ الكاتب الروائي " ليس مؤرخا بالمعنى التقني والفني والإجرائي لمفهوم التأرخة، صحيح أنه يفيد من مدونات التاريخ وأحداثه وشخصياته وملابساته لكنه يعمل على تشكيلها ونقلها عن طريق ديناميات الخيال وعملياته وفعالياته وسياقاته"[2] عن طريق الانتقاء، والاسترسال والقفز على الفترات التاريخية، وهذا لا يؤدي إلى فصل كلي بين الرواية والتاريخ لأن ما بينهما "من ترابط وتواشج هو أكبر من مجرد تماس وقائعي بل ثمة ما يشي بأن النسغ السردي للكتابتين يطوي هوية واحدة، قبل أن يمتاز الصنفان عن بعضهما البعض"[3]، فكتب الأخبار التي يزخر بها تراثنا العربي تتقاطع مع الرّواية ولكن كلا منهما لا يذوب كلية في الآخر.

يرى الدارسون انطلاقا مما سبق أن: " الرواية التاريخية يتجاذبها هاجسان أحدهما الأمانة التاريخية التي تقضي عليها بأن لا تجافي ما تواضعت عليه المصادر التاريخية من قيام الدول وسقوطها واندلاع الحروب والوقائع المأثورة والآخر مقتضيات الفن الروائي"[4]، ولأجل ذلك يلاحظ قارئ الروايات التاريخية تركيزها على التفاصيل في مقابل التزام تختلف حدثه من روائي إلى آخر بمحمولات كتب التاريخ الصارمة في حدود سلطة صاحبها وظروف كتابتها إذ " توزع علم التاريخ والرواية

---

[1]- فيصل الدراج، الرواية والتأويل، المركز الثقافي العربي للنشر ، ط1،ج1 ، بيروت، لبنان، 2004، ص 09.

[2]- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008، ص28.

[3]- عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ (سلطان الحكاية وحكاية السلطان)، دار الكاتب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص09.

[4]- مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص210.

على موضوعين مختلفين: يستنطق الأول الماضي، ويسائل الثاني الحاضر، وينتهيان معا إلى عبرة وحكاية"[1]، مع اختلاف بيِّن في طبيعة ما ينتهي كل منهما إليه، بين رواية تعلي من شأن التخيل وتتوغل بعيدا في التفاصيل، محاولة تسليط الضوء على ما همشه المؤرخ، وتاريخ يعلي من شأن الحقيقة، التي تظل نسبية رغم زعم بعض المؤرخين أنها مطلقة، فالتاريخ ملك لمن انتصر، وهذا الأخير مولع بتقديس صنيعه، ماض في تقزيم غريمه.

إن التمييز بين الرواية والتاريخ و محاولة إيجاد الفرق بينهما يتجلّى بصورة واضحة في الفرق بين الحدث التاريخي والحدث الروائي، " فالحدث التاريخي في تشكيله الواقعي سابق على الحدث الروائي بطبيعة الحال، وكل تاريخ سابق بالفعل والإجراء –زمنا ووجودا–على الرواية"[2]، وهذه حقيقة لا صعوبة في تأكيدها خاصة وأنّ أبرز اشتراطات الرّواية التاريخية معالجتها لأحداث سبقت راهن الروائي بجيل على الأقل و هذا ما يقودنا إلى ضرورة التمييز بين التاريخ الذي يُعنى به المؤرخ ، والتاريخ الذي يقع في صلب اهتمام كاتب الرواية التاريخية، لأن " التاريخ أحداث تمت في الماضي وشخصيات حقيقية نهضت بهذه الأحداث وأصبحت عنوانا عليها، أما التاريخي فهو أحداث اختيرت من التاريخ حسب تتبير الروائي ووظفت في الرواية تجسيدا لغرض روائي ماض أم راهن مستقبلي."[3]

يذكر الروائي الوقائع والأحداث والظرف التاريخي والشخصيات المذكورة في حوليات تلك المرحلة مضيفا إليها شخصيات متخيلة تساعده في تأثيث المكان واستعادة اللحظات الإنسانية والأزمنة الراحلة لشخصياته الحقيقية والمتخيلة ولا

---

[1]- فيصل الدراج، الرواية والتأويل التاريخ ، ص09.

[2]- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي ، ص: 21 –22.

[3]- سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد كتاب العرب، د ط، دمشق، 2003، ص65.

يختلف عمل المؤرخ، بهذا الخصوص كثيرا عن عمل الروائي، فكل منهما سيعتمد إعادة بناء الوقائع سواءً في التاريخ أو الرواية، إلا أن الرواية تحياه في فضاء مجازي وأكثر تخييلا، مع ذلك لا يمكنها تخطي هاجس التاريخ لأنه مستبد بما يتواشج معها.

ويؤكد « عبد السلام أقلمون » هذا الأمر في قوله :" لقد بدأت الرواية مسارها بالاتكاءعلى التاريخ، ثم ظهر لها أن ما يتيحه الفن للروائي أكبر مما يتيحه الانهماك في الوثائق للمؤرخ "[1]، اذ عملت على استغلال المرجعية التاريخية للإنجاز كون روائي يجمع بذلك بين ما كان وما هو ممكن فاستطاعت الرواية "أن تمثل نوعا من التاريخ الشمولي، إذ بالإضافة إلى انشغالها بتسجيل الوقائع والأحداث، دأبت على أن تجعل من موضوعها سجلا للحياة نفسها".[2]

لقد تجاوزت إشكالية العلاقة بين الكتابة الروائية والتاريخ حدود الالتباس القائم بينهما بسبب المشتركات الموجودة بينهما إلى مسألة أخرى أكثر أهمية، تتعلق بالعلاقة القائمة بين المؤرخ والروائي.

لذلك تتميّز وظيفة الكاتب الروائي بسبب اختلاف الدوافع والرؤية إلى التاريخ إضافة إلى الخصوصية الفنية والتخييل الذي يحكم هذه الكتابة ويجردها من موضوعاتها، لكن هذا الاختلاف في الرؤية والمفهوم لم يمنع الروائي من أن ينافس المؤرخ في وظيفته عندما يعيد ملء الفجوات المتروكة في التاريخ أو يقوم بإعادة تأويل أحداثه واستقرائها في ضوء رؤية جديدة لكنها لا تقدم نفسها بوصفها بديلا عن عمل المؤرخ وإن كانت سلطة التاريخ تظل تفرض نفسها على كتابة الرواية التي تظل تهجس بالتاريخ.[3]

---

[1]– عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ ، ص 114.

[2]– المرجع نفسه ، ص 115.

[3]– مفيد نجم، حوار الرواية والتاريخ، يوميات مجلة الجديد، 2021 ، أبو ظبي، ص06.

لقد اتخذت هذه الإشكالية في العلاقة بين الرواية التاريخ بعدا آخر في التجربة الروائية العربية الحديثة عندما حاولت بعض التجارب الروائية استعادة العلاقة بين الرواية وأشكال السرد التاريخي من خلال توظيفها في الرواية بهدف تأصيل هذه الرواية وتعميق علاقة اتصالها بالتراث .لذلك تتسع حدود هذه الإشكالية في العلاقة، بين الرواية والتاريخ، كما تتسع معها مشكلة المصطلح الدال الذي يمكن أن يحيل على هذا التنوع والاختلاف في التجارب، خاصة وأن هذه الرواية ما زالت تحاول التجريب والبحث عن هوية خاصة بها".[1]

إن الجدل المستمر حول مسألة المصطلح هو انعكاس لواقع التجربة الروائية العربية وتنوع تجاربها وتعدد مرجعيتها، إضافة إلى أن مصطلح المعاصر أو الراهن سيغدو بعد زمن ماضيا.

3-التاريخ الرسمي والتاريخ الهامشي

تقوم الرواية التاريخية بالاستناد على المادة التاريخية، وتحيا من خلال الخطاب السردي التخيلي الذي يميزها عن الخطاب التاريخي. والمادة التاريخية عبارة عن أحداث وقعت في الماضي، وترتكز الرواية على هذه الأحداث، وهذا يعني" وجود مسافة زمانية جوهرية (تقاس بالعقود والأجيال والقرون) بين زمان الحدث التاريخي المقدم في الرواية، وزمان كتابته".[2] حيث يرى الروائيون أن الارتكاز على الأحداث الماضية يسمح بأخذ العبر والدروس التي يمكن الاستفادة منها في وقتنا الحاضر.

ولكن ما هي حدود هذه المسافة ووشائجها بالزمان، فهي قد تمتد إلى الأزمان البعيدة جدا، أو إلى الزمان القريب الذي لا يتعدى بضعة سنوات.

---

[1]- مفيد نجم ، حوار الرواية والتاريخ ، ص07.

[2]- سعيد يقطين، الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، ص28.

وبعض النقاد أخرج بعض الروايات القريبة من زمن الكتابة من دائرة الرواية التاريخية، واعتمد في تصنيفه على المسافة الموغلة في القدم، حيث يشكّل الزمن عنصرا مهما لتبيان نوعية السرد، لذلك يجب علينا تحديد الفترة الزمانية للتفريق بين الواقعي والتاريخي، وإلا فإن كل رواية ترتكز على حوادث تاريخية تدخل في باب الرواية التاريخية. فالروايات العربية في مجملها تطرقت إلى الأحداث التي وقع تحتها الوطن العربي، مثل فترات الاستعمار البريطاني والفرنسي، واحتلال فلسطين في عام 1948م وحرب 1956م، و1967م...

ويرى «سعيد يقطين » أنه: "لا يمكن الكلام عن رواية تاريخية معاصرة، فلا يمكن اعتبار الفترة الزمانية بين زمان الحدث أو القصة وزمان الكتابة، لذلك يدرج مفهوم (الحقبة الزمانية) الذي بواسطته ندخل زمان القراءة العام ،لأن المسافة الزمانية، في متخيل القراءة، تظل قائمة بين الواقع في الحاضر (الآن)، والواقع في الماضي (التاريخ).

وبالنسبة لبعض الباحثين لا يمكن قياس المسافة الزمانية باعتماد العقد أو الجيل أو القرن، ولكن بما يمكن تسميته بالحقبة الزمانية، ويقصد بها المدة التي تشترك بمجموعة من المواصفات المتصلة بالعصر المحدد، وتلتقي في مجموعة من المقومات وعلى المستويات كافة"[1] ، بحيث تجعلها متباينة مع الحقبة التي تسبقها أو تليها.

فالاختلاف والتباين بين الماضي والحاضر أو التاريخ والواقع أساسي للتفريق بين الزمنين، لأنه يعطينا القدرة على الفصل بين واقعين مختلفين سواءً على مستوى المادة الحكائية أم على مستوى الخطاب. فحتى القارئ يشعر أنه كلما كانت الحقبة

[1]- سعيد يقطين، الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، ص29.

الزمانية مفارقة، كان بإمكانه معايشة المصائر المعطاة والتفاعل مع الأحداث المحكية بعمق.

وتأسيسا على ما سبق، فإن "سعيد يقطين" يعتبر الحقبة الزمانية التي ما زلنا نعيشها، قد بدأت منذ وقوع الوطن العربي تحت الاحتلال الغربي .وبسبب هذه الاحتلال نشأت تحولات جوهرية في الحياة العربية غيرت مستقبلها، وهذا جعلها تتمايز عن الحقبة الماضية التي عاشها العرب قبل احتلال أوطانهم.

وبالتالي وحسب رأي الدكتور " يقطين "، تدخل الرواية العربية التي لا تتعامل مع الحقبة الزمانية الحديثة، في نطاق التاريخ، أما الروايات التي تستند في مادتها على العصر الحديث فلا يمكن إدراجها تحت مسمى رواية تاريخية، ويمكن تصنيفها حسب ملامحها الخاصة.

ندرج ايضا حول القضية نفسها،"وبهذا التمييز نقيم المسافة الزمانية بين العصر الحديث والعصور القديمة، ونعتبر الروايات التي تستمد مادتها من تلك العصور تاريخية ونظيراتها المتصلة بوقائع العصر الحديث وأحداثه مهما كانت درجة (حقيقتها) داخلة في نطاق الواقعية أو الحالية أو بحسب الأنواع التي يمكن أن تؤطر في نطاقها".[1]

وبذلك يمكن وضع مسافة بين التاريخ والواقع والتميز بينهما من خلال الأحداث والوقائع، فالأحداث في الرواية التاريخية واقعة ولا شك في ذلك، أما الرواية غير التاريخية فأحداثها متخيلة ولكن ممكنه الوقوع، كما يمكن التمييز بينهما من خلال المرجعية فالحوادث التاريخية يمكن التحقق منها، أما في الواقعي فإنه مزيج بين المادي والتخيلي.

[1]- سعيد يقطين، الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، ص 29.

ويستخلص« يقطين » من دراسته، أنه يمكن التفريق بين الواقعي والتاريخي، إذ الواقعي يعتمد على مبدأ المشابهة بين أحداث الرواية والواقع، وهذه المشابهة توحي بواقعية الرواية التي لا تقدم الواقع بل ما يمكن أن يكون .أما التاريخي فإنه يستند على مبدأ (المطابقة) بين الرواية والواقع، وهذه المطابقة توهم بالتاريخية، بينما الرواية تقدم الواقع كما هو.

إن " الإيهامين بالواقعية والتاريخية هو موئل المفارقة التي أومأنا إليها، وهي جوهر الإبداع السردي الذي يتحقق من خلال فعل (التخيل) حيث كل رواية تقدم شيئا، وتوحي لنا بأنها تقدم غيره، وإن حصل وانتبهنا إلى ما يفيد العكس، كان الجواب (الفني)" [1] لا ريب أن ذلك يرجع للصدفة أو القصد.

ربما هذا ما يدفع بالمتلقي لقراءة رواية بدلا من كتاب في التاريخ، لأنه سيجد ضالته هناك وسيتعرف على أحداث ووقائع تحاشاها التاريخ. وهذا ما دفع« أ.م. فورستر » للقول بأن: " الأدب أصدق من التاريخ، ذلك أن الأدب عندما يتناول حدثا أو شخصية تاريخية يجد الحرية الكاملة في الانطلاق وراء خفايا الحدث ودوافعه، أو وراء التجربة الخصوصية للشخصية، بينما يقف المؤرخ جامدا إزاء هذا، وذلك أنه ملتزم برواية الحدث كما هو (...) بطريقة أخرى فإن مجال الخيال مفتوح أمام الكاتب، بينما هو مغلق أمام المؤرخ (...) ومن هنا فإذا كانت أدوات الأدب من حيث دراسته الواعية للحقبة والحدث والشخصية التي يؤرخ لها متكاملة، جاء عمله أقرب إلى الصدق منه إلى عمل المؤرخ ".[2]

إن عودة الرواية إلى التاريخ لم تكن لأجل الخضوع لسلطته خضوعا تاما، وإنما في استثمارها له في إعادة البناء والاكتشاف وإزالة الحجب عن مناطق وزوايا خفية فيه.

---

[1]- سعيد يقطين ، الرواية و التاريخ ، ص30.

[2]- حلمي بدير، دراسات في الرواية والقصة، دار المعارف، ط1،القاهرة ،1985، ص:49-50.

ونجد في هذا الصدد « عبد السلام أقلمون » يضيف قائلا : "وقد وفر التحام الرواية بالتاريخ فرصة الإمساك بالواقع المظلم المرير وتشريحه أفقيا وعموديا، جوانيا وبرانيا... وجعله يقف أمام المرآة بتؤدة كبيرة، ليفتح عينيه على المخازي والمقابح متكررة ومتجددة في خطابين متأزرين: الرواية والتاريخ"[1]، في هذا إثبات على شراكة الرواية والتاريخ وصعوبة الفصل بينهما، بالرغم من وجود بعض الاختلافات القائمة بينهما .

إن الرواية بشكل عام "هي تاريخ متخيل داخل التاريخ الموضوعي"[2]، وكلاهما يشتغل على العناصر الثلاثة (الإنسان والزمان والمكان). ونجد أنواع مختلفة من الروايات نذكر منها الرواية التاريخية، التي لها علاقة خاصة بالتاريخ، مستمدة من موضوعها وأسلوبها، فالرواية التاريخية تشترك مع التاريخ بصورة عامة في وجود بنية تاريخية تتأسس عليها تتمثل في الفضاء والأحداث والشخصيات، لكنها في تعاملها مع التاريخ "من حيث هو مكون روائي لا يعني اعتماد التاريخ بديلا للتخييل "[3]

إذن تتجلى علاقة الرواية بالتاريخ أكثر في حقل ومحال اشتغال الروائي على المادة التاريخية وكيفية تفاعله معها، لتقول ما لم يتفوه به التاريخ أو صاغت ما قاله التاريخ بطريقتها.

إن علاقة الرواية بالتاريخ تسير نحو التوثيق والترابط أكثر لفهم هذا الراهن المتأزم ولم يعد اللجوء إلى التاريخ مجرد هاجس سردي فقط، بل هو في الأساس هاجس سياسي مرتبط بأزمة الهوية والتجربة الوجودية التي يخوضها الإنسان العربي المعاصر، إذ على الروائي" أن يستدرك قصور التاريخ".[4]

---

[1]- عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ، ص116.

[2]- محمد أمين العالم، الرواية بين زمنتيها وزمانها، فصول، ع11، مصر ، 1 يناير1993، ص 13.

[3]- عبد الفتاح الجحمري، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول، مج 16، ع 1 ، 1997، ص62.

[4]- فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص261.

ويقول «مفيد نجم» بأن: " التاريخ الذي هو رواية لأحداث ووقائع جرت في الماضي يحاول المؤرخ تفسيرها وإبراز دلالاتها، تختلف عن الوظيفة التي يقوم بها الروائي، لأن الرواية التي تتخذ من التاريخ وأحداثه خلفية لها تظل تعكس في بنية أحداثها وعي الحاضر بالماضي لذلك لا يدعي الروائي واقعية ما يقدمه من أحداث وشخصيات روائية، نظرا لأن الرواية هي عمل فني تخييلي يقوم الروائي فيه بإعادة بناء وقائع التاريخ في سياق بنية حكائية سردية تقوم على الترابط وإنتاج الدلالة والمعنى".[1]

ويضيف في نفس الصدد:" أن مصطلح الرواية التاريخية كما يراه خصومه يقوم على الإيحاء بالمطابقة بين الرواية والتاريخ انطلاقا مما يقولونه حول الترابط العضوي القائم بين التاريخ والرواية .لكن الرواية بوصفها عملا يقوم على التخييل لا تسعى لاستنساخ التاريخ وتفسير أحداثه والبحث عن الحقيقة فيه كما يفعل المؤرخ ذلك، بل هي تتخذ من أحداثه خلفية لها أو فضاءً تظل تتحرك فيه وهي تعيد بناء وقائعه على نحو دال ووفقا للاحتياجات الفنية للعمل الروائي".[2]

ويذهب بعض الدارسين إلى القول بأن : الرواية على خلاف التأريخ تظل معنية بالبحث في الفجوات الموجودة بين أحدث التاريخ أو في المسكوت عنه، إضافة إلى المغيب أو المهمل في هذه السردية للتاريخ".[2]

يجسد هذا القول أن الرواية هي المصدر و أما التاريخ فهو المرجع.

---

[1]- مفيد نجم، حوار الرواية والتاريخ ، ص07.

[2]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني:

تمظهرات التاريخ في رواية " شبح الكاليدوني"

ملخص الرواية

جاءت رواية "شبح الكاليدوني" في 121 صفحة، وصدرت عن دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر سنة 2015، وتدور أحداثها حول يوميات البطل« محمد شعبان »المنتمي إلى عائلة المنفي العريقة في العلم والتصوف والفروسية، يعاني صراعات نفسية وفكرية حيث نجده في سائر أوقاته منشغلا بالتفكير بمأساة المنفي، الذي عاش فيه «والد جده محمد المنفي » فكان «محمد شعبان » حريصا على تلبية رغبة والده « الحاج عبد القوي » في الحصول أو العثور على قبر جده، الذي نفي إلى كاليدونيا الجديدة، التي كانت سجنا لتعذيب وترهيب الثوار الجزائريين الذين قاوموا العدو الفرنسي، فصار سجين التساؤل المحير، الذي دفعه إلى عالم الغربة وجعله ينتظر ما يضيء له جراح الماضي، إلا أنه لايجد نفسه إلا أثناء الترديد والاستماع إلى الأغاني الشعبية، والبدوية لأنها الوحيدة التي أطفأت حرقة التفكير، ويأسه ومشاكله في الحياة.

تصنف رواية "شبح الكاليدوني" لـ «محمد مفلاح» ضمن الروايات التاريخية؛ ذلك أن «مفلاح» عرج فيها إلى أحداث كانت في حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر وخصوصا عندما سلط الضوء على يوميات «محمد مفلاح» ومحاولته البحث عن تاريخ أجداده المغيب من قبل الاستعمار وكذا السلطات وصولا بالمثقفين في الجزائر.

يسافر الروائي «محمد مفلاح» بالقارئ في روايته "شبح الكاليدوني" إلى تاريخ المنفيين إلى جزيرة كاليدونيا الكائنة في المحيط الهادي بالقرب من أستراليا أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر، محاولا إماطة اللثام ونفض الغبار عن جزء من تاريخ الجزائر المهمش والمغيب من قبل المؤرخين وخاصة التاريخ المحلي، كيف لا؟

والكثير من الحقائق التاريخية للجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي تنزف بصمت؛ وذلك لأنها لم تلق الاهتمام اللازم بها، اهتماما قد ينتشلها من براثين التهميش.

ونجد الجدة "لالة الفلتية " ، التي حاولت إبراز الجانب الثقافي، الذي يتغنى به المجتمع الجزائري، حيث كانت تقص على أحفادها من حين لآخر حكايات شعبية وعجيبة **مثل:** (حكاية الغول، ولونجة بنت السلطان، وحكايات حديدوان، وبقرة اليتامى) كما لم تغفل في حديثها اليومي عن زيارتها للأضرحة وبالأخص أيام الوعدات السنوية.

ويبرز كذلك "عبد الحليم الوقادي"، الذي أدى دور الصديق المقرب لشخصية "محمد شعبان" متمثلة في شخصية واعية ومثقفة في عدة مجالات، خاصة في المجال الفلسفي حيث نال شهادة الماجستير في فلسفة " جون بول سارتر" الذي كان يدعو في أفكاره إلى التحرر من التقاليد، وبناء دولة علمانية، وما يأسف لحاله أنه اغتيل أثناء العشرية السوداء، التي تعتبر فترة الأزمة أو فترة المحنة والدم، حيث شهد فيها المجتمع الجزائري أبشع جرائم التعذيب، والقتل على يد الإرهاب.

الفصل الثاني : تمظهرات التاريخ في رواية" شبح الكاليدوني

1-الأحداث التاريخية:

يمكن إدراج رواية "شبح الكاليدوني" ضمن السرد الواقعي التاريخي، إذ تعالج أحداثا وقعت في فترات تاريخية بطرائق مختلفة ورؤى جديدة. فتنطلق لغة النص الروائي من التعبير عن الواقع المحلي المعيش بما يصاحبه من غبن اجتماعي راهن إلى التعبير عن مرحلة الاحتلال، وما شهدته من مقاومات شعبية ضد البطش والاستبداد. فتسلط الرواية الضوء على مأساة الجزائريين المنفيين إلى المستعمرات

الفرنسية، من خلال نموذج لشخصية الشيخ "محمد المنفي" إلى كاليدونيا الجديدة منذ عام 1864 م، بعد إخماد (ثورة سيدي لزرق بلحاج)المندلعة بمنطقة غليزان. وكانت هذه الجزيرة الرهيبة سجنا للعديد من الثوار الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي.

كما يرمي هذا العمل السردي إلى إبراز المسؤولية الجماعية في تغييب حقب من تاريخنا المجيد، ونسيان جراح خلفها العهد الاستعماري، مثلما حدث لبطل الرواية المثقف الأربعيني الموظف في ديوان وزارة الثقافة بغليزان "محمد شعبان المنفي" الذي "طلب وقتذاك من والده الحاج عبد القوي أن يغير هذا اللقب الغريب فربت على كتفه الهزيلة قائلا له بهدوء الرجل المجرب: انتظر قليلا... وستتعرف على أسرار هذا اللقب المجيد. إنه لجدي الذي نفي إلى كاليدونيا الجديدة. وهل سمعت بهذه الجزيرة؟ لا أعتقد. وزارة التعليم لن تدرسكم عنها، نسيت جراح المنفيين في العهد الكولونيالي، فانتظر حتى تكبر يا بني. وطال انتظاره للتعرف على أسرار كثيرة في هذه الحياة الكالحة، منها مأساة والد جده وسر الجزيرة النائية. منذ تلك الأيام سكنه شبح المنفي". [1]

وهكذا يكون تمثيل التاريخ وتخييل السرد، فهما لا يرتبطان بالقراءة الواعية والمطالعة الوافية فحسب، بل يحتاجان إلى فن السماع وحسن الإصغاء إلى رواة الحقائق التاريخية المتوالية. كما هو شأن البطل"محمد شعبان" فقد " كان معلمه الأول، بصافي المايدي، يحثه على الاجتهاد في دروسه، ويقول له، أمام كل تلاميذ القسم، بأنه من عائلة المنفي العريقة في العلم والتصوف والفروسية".[2] وفي نفس الصدد اضاف :"معلمه الثاني عاشور الزكري...وهو أيضا من أرشده إلى الحقائق المغيبة في التاريخ الوطني".[3] وهي دعوات صريحة للمؤلفين إلى إعادة بناء

[1]- محمد مفلاح، شبح الكاليدوني،دار المنتهى للطباعة ،ط1، الجزائر، 2015 ، ص06.
[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[3]- المرجع نفسه ، ص:06-07.

الظواهر التاريخية واستلهام أحداثها، لأن التاريخ الشعبي المحلي لمنطقة ما،بما يكتنفه من كنوز معرفية عميقة، من شأنه أن يشكل رافدا مهما للتاريخ الرسمي. وهذا دأب الروائي لـ« محمد مفلاح» الذي ما فتئ ينقب في أعماق التاريخ الإنساني الجزائري بصفة عامة.

ويمثل التاريخ مدونة قائمة بذاتها، يكتسب منها الروائي «محمد مفلاح» مشاهد روايته وشخصياتها، بإعادة تشكيل الأحداث التاريخية من منظور سردي يتماشى وزوايا نظر السارد. ففي مثل هذه العملية الإبداعية الموسومة بـ: "تسريد التاريخ" يتوزع علم التاريخ وجنس الرواية على موضوعين مختلفين يستنطق الأول الماضي ويسائل الثاني الحاضر، وينتهيان معا إلى عبرة وحكاية.[1]

إن تعامل الروائي مع الأحداث التاريخية في عملية إبداع نصه السردي يتيح للقارئ فرصة استكشاف ما سكت عنه السارد في معرض ملاحقته الزمن الحقيقي للقص داخل المدونات التاريخية المتنوعة. مثلما يجد القارئ في الفقرة التالية من رواية "شبح الكاليدوني": "ثم راح يترنم بأغنية "يا المنفي" حتى انتصبت أمامه سكرتيرته عقيلة الكاف وهي تبتسم ابتسامة ذات معنى".[2] فهم هذا القارئ باستكشاف كلمات هذه الأغنية "يا المنفي"، التي كتبها ولحنها وأداها المطرب الجزائري القبائلي « أكلي يحياتن»، وأعادها الكثير من المغنيين الشباب. "وظل هو يردد بصوت مسموع: قولوا لأمي ما تبكيش... يا المنفي... ربي وليدك ما يخليش... يا المنفي...[3]

ويظل حبل التواصل متاحا بين السارد وقرائه وهو ما يمكن أن نسقطه على تواصل البطل« محمد شعبان » بمحيطه العام، وبأفراد أسرته على وجه الخصوص

[1]- فيصل الدراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص 09.
[2]- محمد مفلاح ،شبح الكاليدوني ، ص 07.
[3]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

الذي شهد تذبذبا ملحوظا، إذ "ازدادت الهوة حتى مع والدته التي لم تمل في ترديد نصحها له بالزواج من المعلمة المتنقبة زولة ،ابنة الجارة كلثوم الوادية الكفيفة". [1]

ويواصل القارئ اجتهاده في البحث عن دلالات اسم "زولة" تاريخيا وتراثيا، ليخلص بعد تمعن إلى أنها امرأة فاضلة كريمة علامة المؤرخ الجزائري" أبي راس الناصري المعسكري" ودفينة مدينة مازونة.

وأُريدَ لمحتوى هذا العمل السردي أن يشكل المهمل في الكتب التاريخية الرسمية، والمبتور من الأشرطة الوثائقية الإعلامية، لذا وجب علينا أن نقرأه بنظارات الدقة والتأمل والروية، على الرغم من أن موضوعه يحمل هواجس النفي والتهميش والاغتراب.

1-أ:الأحداث المرتبطة بالرواية:

أولا: بحث محمد شعبان عن قبر جده:

طلب"الحاج عبد القوي" من "محمد شعبان" البحث عن قبر جده بعدما تعذر عليه فعل ذلك بسبب ظروف عديدة كانت عائقا أمامه وحالت دون الوصول إليه، فالجزائر في تلك الفترة كانت تعيش ويلات الاستعمار الغاشم، ثم لحقتها الأزمات مما أدى إلى تذبذب المواطن الجزائري الذي أنساه تاريخه ويظهر ذلك في الملفوظ التالي:

-" أهوال ثورة التحرير منعتني من البحث عنه، ثم عشنا أزمات متلاحقة تشوش فيها فكرنا فنسينا تاريخنا..."[2]

فأصر "الحاج عبد القوي" على ابنه "محمد شعبان" وحثه على البحث عن قبر جدهم وأظهر له عن مدى سعادته لو تحقق له هذا الحلم الذي يراوده ويظهر ذلك في الملفوظ التالي:

---

[1]- محمد مفلاح ،شبح الكاليدوني ، ص 08 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 117.

" سأكون سعيدا لو تعثر على قبر جدي قبل أن يغيبني الموت. سمعت في صغري أنه مدفون في جبال الونشريس" ...[1] مضيفا:" ابحث عنه يا محمد. أريد أن أرى قبره قبل وفاتي ،و احب ان تتعرف الحكومة على تاريخ سيدي محمد المنفي و تضحياته ".[2]

وأردف قائلا: "كان مقاوما كبيرا، عاش منفيا في كاليدونيا الجديدة، وانظم إلى ثورة الكناك، عاش بينهم، ثم فر من الجزيرة في سفينة إنجليزية تحمل الزيت إلى أستراليا، وقضى سنوات في الحجاز، ثم رجع إلى الوطن مع موكب حجاج المغرب متنكر في زي درويش. اليوم نسيته الحكومة والمؤرخون وكل الناس في هذ الزمن الغدار.[3]

جسدت هذه الاستشهادات مدى رغبة والد "محمد شعبان" في ايجاد قبر جده و منحه بعض الأمور التي تساعده على ذلك و تحفزه أكثر،إذ نجد ذلك في الرواية :" شعر محمد شعبان بأنه على خطى طريق الشيخ محمد المنفي بعدما سكنته رغبة البحث عن تاريخه قبره... شرع في تسجيل بعض ملاحظاته بقلم حبر أسود، وفي نيته أن يغامر بالسفر إلى جبال الونشريس الشاهقة.[4]

ثانيا: سفر محمد شعبان إلى الدوار:

يجب على "محمد شعبان" الذهاب إلى الدوار وبالتحديد إلى منطقة الونشريس، وبالفعل عزم "محمد شعبان" على السفر، وعند وصوله قال:" لم أزركم من أجل الأرض، والدي لم يفكر يوما في هذا الأمر، له رغبة وحيدة يتمنى تحقيقها قبل وفاته وهي العثور على قبر جده".[5]

---

[1]- محمد مفلاح شبح الكاليدوني ، ص 33.
[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[3]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[4]- المرجع نفسه ، ص 55.
[5]- المرجع نفسه ، ص95.

يوضح من خلال هذا الكلام، وصول الابن «محمد شعبان» إلى منطقة الونشريس والتقائه بالأقارب كما مهد لهم سبب مجيئه إليهم ، في قوله :"جئت هنا للبحث عن قبره، بطلب من والدي الذي ناهزة سنه التسعين".[1]

قال «الكهل» فرحا:

– "إنه جدنا الشيخ محمد الكاليدوني.

وعانق محمد شعبان بحرارة، وتابع مرحبا بك في الونشريس وفي بيت ابن عمك البودالي غدا سنزور قبر الشيخ محمد الكاليدوني، وصاح محمد شعبان وهو في غاية الانفعال:

– شكرا لك يا سي البودالي..."[2]

اظهرت هذه الامثلة مدى حبهم واحترامهم للشيخ محمد الكاليدوني و ترحيبهم بحفيده ، كما قدموا له يد المساعدة لايجاد قبر جده ، و خير مثال على ذلك نجد ما دُّون في الرواية: " ومع بزوغ الفجر، استيقظ الرجلان، وغادرا الزاوية في اتجاه الجبال الشاهقة...[3].

ثالثا–رغبة الأم بإقناع ابنها بالزواج:

تسعى الأم جاهدة إلى إقناع ابنها «محمد شعبان» من أجل الزواج بالمعلمة «زولة»، ولكن ولدها رفض ذلك بحجة أن له اهتمامات أخرى اعتبرها أكبر أولوية من الزواج وهي السفر إلى الخارج وبالأخص إلى جزيرة كاليدونيا ، ويظهر ذلك من خلال الملفوظات التالية:

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص103.
[2]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[3]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

–"لا تريده أن يبدد وقته في البحث عن هذا الشبح، فهي تريده أن يكمل نصف دينه قبل وفاتها،و لا تنسى التلميح إلى المعلمة زولة."[1]

صورت هذه الجمل رغبة الأم بزواج ابنها من المعلمة "زولة" فقد اقحم الرواي محمد مفلاح الملامح الجسدية للمعلمة ووضح رؤية الأم اتجاهها ، فنجد ذلك من خلال الرواية :"تمنت أن يتزوج ولدها بالمعلمة زولة التي تجاوزت سنها الثلاثين، كانت شابة نحيلة سمراء ذات جمال هادئ. لم يلتفت إليها يوما. نقابها صار في نظره سورا منيعا لأي اقتراب منها. حدثته والدته عن أمنيتها فرفض اقتراحها بشدة، وأخبرها بأنه يفكر في الهجرة إلى الخارج..."[2] .

رابعا: المراحل التي مر بها محمد شعبان للعثور على القبر:

سعى "محمد شعبان" للعثور على قبر "جد والده محمد المنفي"، وكشف سر هذا اللقب العائلي الغريب. زوده أبوه بثلاث رسائل بعثها هذا الشيخ ذو الضريح المجهول من كاليدونيا الجديدة إلى أهله بغليزان، وكان الأب قد خبأها سنين طوال في صندوق قديم بغرفته المهشمة، كانت هذه الرسائل الثلاث بمثابة البوصلة التي توجهه شطر ضالته المنشودة، كما "علم محمد شعبان من والديه أن جده الشيخ تواتي، استقر في حي القرابة بمدينة غليزان في بداية القرن العشرين الميلادي،...وقد شارك في ثورة قادها الحاج طيب المفلحي في زمن عملية التلقيب التي شرع فيها حاكم بلدية زمورة المختلطة." [3]

وفي مهمة شائقة وشائكة في الآن ذاته عبر جبال الونشريس، يهتدي البطل "محمد شعبان" إلى الكنز المفقود، المتمثل في ضريح "جد والده الشيخ محمد المنفي الكاليدوني". حيث انه :"وجد في الجدار المقابل للقبر (قبر جده محمد المنفي)

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص35.
[2]- المرجع نفسه ، ص35.
[3]- المرجع نفسه ، ص : 57 - 58.

التعريف الآتي: "سيدي محمد بن عدة بن لزرق بن محمد الراجي، ولد بعد مبايعة الأمير عبد القادر بن محي الدين بسنة واحدة ببلدة العين من تل قبيلة فليتة شارك في ثورة سيدي لزرق بلحاج، ونفي إلى كاليدونيا الجديدة في صيف 1864 م. وفر من الجزيرة في سفينة (نفط) إنجليزية إلى الحجاز وحج وعاش في المدينة المنورة، ولما عاد إلى الوطن (متنكرا في هيئة مجنون)، اختار الاستقرار بجبال الونشريس حتى لا يرى وجه الرومي، وعرفه سكان المنطقة باسم الشيخ " محمد الكاليدوني". توفي سنة 1891 م، فرحم الله جميع المجاهدين والأولياء الصالحين".[1]

ورغم بعض الصعوبات التي واجهها «محمد شعبان» وتعرضه إلى الكثير من المعارضات من طرف بعض الأشخاص، إلا أنه أصر وعزم على تنفيذ رغبة والده الحاج «عبد القوي» بإيجاد قبر جده وأخيرا تحقق حلم «محمد شعبان» وعثر على قبر جده:

-"الحمد لله أخيرا عثرنا على قبرك يا سيدي الشيخ".[2]

-"كاد قلب محمد شعبان يتوقف تنفس بصعوبة وهو يقترب من ضريح أبيض ذي قبة خضراء كان يتوسط قبورا كثيرة، ثم انحنى قليلا ولامس الجدار بأنامل يديه المرتعشتين... ثم وقف أمام قبر والد جده..."[3]

نستنتج في هذه الأسطر فرحة و سعادة بطل الرواية «محمد شعبان» إثر وصوله إلى قبر جده.و من المقتطفات الواردة في نفس الوجهة نجد :" الحمد لله عثرت عليه بفضل مساعدة البودالي."[4].و كذلك " أخيرا حقق حلم والده، سيرافقه لرؤية قبر جده..."[5].

---

[1]- محمد مفلاح شبح الكاليدوني ، ص 105.
[2]-المرجع نفسه ، ص103.
[3]-المرجع نفسه ، ص105.
[4]-المرجع نفسه ، ص109.
[5]-المرجع نفسه ، ص111 .

نرصد في نفس النقطة: " لقد عثرت على قبر جدنا".[1] و نضيف :"عثرت على قبر جدنا المعروف هناك بالشيخ سيدي محمد الكاليدوني، أنه في جبال الونشريس، قرب بلدة الراجية".[2]

خامسا: وفاة الحاج عبد القوي:

وهكذا تنتهي رحلته الشاقة، حاملة للبشرى المتزامنة مع لحظات احتضار والده «الحاج عبد القوي» . يا له من واقع تاريخي مأساوي يشبه الأسطورة غيبة التاريخ الرسمي الموثق...، جاءت الرواية لتجسد هذه الأحداث التاريخية، وتدين هذا الخطاب التاريخي الرسمي. وهي بمثابة تنبيه للمركزي بأهمية الهامشية من الوقائع والظواهر. وعندما يتماهى السرد بالتاريخ يسهمان لا محالة في إحياء الذاكرة الشعبية المنفية والمعالم التراثية الدفينة في طي النسيان، وتلك كانت وصية «الحاج عبد القوي» في الرواية لابنه البطل «محمد شعبان» وجميع أفراد عائلته:"هذه وصية مني إلى أفراد عائلتي كبيرا وصغيرا، وهي أمانة في أعناقكم أريد أن يتم دفني قرب قبر سيدي الشيخ محمد المنفي كما أوصاني بذلك في الرؤية، وأنا متيقن أن ولدي الغالي سيجده... ولكم مني كل السماح، وأدعو لكم الله أن يستركم ويحفظكم، وأوصيكم بالمحبة بينكم، ولا تتخاصموا من بعدي على فتات الدنيا، فهي فاتنة منتنة، والحمد لله على كل شيء".[3]

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 114.
[2]- المرجع نفسه ، ص: 114-115 .
[3]- المرجع نفسه ،ص:115 - 116.

سادسا: ذهاب محمد شعبان إلى كاليدونيا:

وأخيرا يرتمي بطل رواية "شبح الكاليدوني" في مسلك آخر من الشقاوة بمكان، كما كان قدره دوما، فيبيع ممتلكاته ويقطع علاقاته، ويختفي موليا وجهه صوب منفي الأجداد كاليدونيا الجديدة. وتضمن ذلك في الرواية من خلال:"وفي اليوم نفسه انتشر خبر اختفاء محمد شعبان، و تضاربت الآراء حول سلوكه الغريب. وبعد وقت قصير يتحدث الناس عن شجاعته مرة وعن جنونه مرات".[1] ولعل البطل لم يسلك هذا المسلك إلا عندما حدث ما يشبه التماهي بين كيانه المحبط وشبح جده المنفي الكاليدوني. فقرر السفر إلى الجزيرة التي شهدت منفى أجداده، فعلا "حان وقت السفر الطويل إلى الجزيرة التي سكنها أبناء العهد الجريح".[2]

2-الشخصيات المرتبطة بالرواية:

تعد الشخصية النقطة المحورية التي ينطلق منها نص الرواية، حيث تعتبر" أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية"[3]، فالشخصية من أهم العوامل المساهمة في تشكيل الرواية، حيث تعد " ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية بقولهم الرواية شخصية".[4]

2-أ-الشخصيات المركزية:

- **محمد شعبان:**

وهي الشخصية الرئيسية في الرواية تبتدئ الرواية بتتبع يومياته وهو شاب أربعيني يعمل في ديوان وزارة الثقافة بولاية غليزان والذي يتخبط في جملة من

---

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 121.
[2]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[3]- فريال سماح، رسم الشخصية في روايات ختامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 ، بيروت ،1999، ص:17-18.
[4]- محمد التوجني، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت، 1993، ص 456.

المشاكل الاجتماعية، وتؤرقه هواجس الصراعات فتراوحت بين النفسية والتاريخية، ليجبر «محمد مفلاح» المتلقي القارئ على التفاعل الفكري مع روايته والسباحة في غور الأزمنة (الماضي، الحاضر، المستقبل) وهو حفيد الكاليدوني المنفي إلى جزيرة كاليدونيا.

تعود دلالات الاسم الثلاثي للبطل «محمد شعبان المنفي» مباشرة إلى أسلافه من الجهتين: «محمد»، فينتسب إلى جده الأول لأبيه الولي الصالح «محمد الراجي» . وأما «شعبان»، فيرجع إلى جده لوالدته المسماة «صفية بنت شعبان البايلك»، كما أن لقبه العائلي (المنفي) يحيل إلى جد والده الشيخ «محمد المنفي الكاليدوني» . والبطل ذاته يتأرجح بين هاجسين:

هاجسه الأول منبعه: أمه التي ما زالت تحثه على الزواج السعيد، وإنجاب الذرية الصالحة. وهاجسه الثاني مصدره: والده الذي ما برح يدعوه إلى البحث عن قبر جده المرجعية« الشيخ محمد المنفي الكاليدوني ».

إلا أنه لجأ إلى " زهد في الزواج، ثم كرهه.وجد في موقف أبي العلاء المعري سندا لمواجهة كلام والدته الحائرة على مصيره."[1] و كذا" كان صديقه المغتال يحدثه عن الفلاسفة والكتاب العزاب... نيتشيه، و سارتر،و جمال الدين،عبد الرحمن بدوي، و العقاد،ووو."[2]و لكن ازداد رغبة في معرفة تاريخ والد جده. والده هو من ألقي في نفسه بذرة المنفي ".[3]

وينأى عن التفكير في المستقبل الذي تنشده والدته «الحاجة صفية»، ويعانق الماضي المغيب تحت إلحاح والده، ليسير في مسلك وعر حدده أبوه «الحاج عبد القوي» ذاته. فيستعين بالعالم الافتراضي تارة، "قضى جل الليل في حوار مطول،

[1]- محمد مفلاح ،شبح الكاليدوني ، ص 14.
[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]- المرجع نفسه ، ص 15.

عبر الفيسبوك مع "أليمة كناك" أو حليمة طايب، الفتاة الخمرية البنية العينين التي تسللت مصادفة إلى قلبه المتعب".[1]

- **الحاج عبد القوي:**

وهي الشخصية المتمثلة في أب« محمد شعبان» الذي طلب من محمد البحث عن قبر جده بعدما تعذر الوصول اليه بسبب الظروف التي كانت تعيشها البلاد من إحتلال فرنسي ثم تلي الثورة عدة أزمات مما شوش عليه البحث حسب ما جاء على لسانه " أهوال ثورة التحرير منعتني من البحث عنه،ثم عشنا أزمات متلاحقة تشوش فيها فكرنا فنسينا تاريخنا".[2]

فكان هذا حلما بالنسبة « للحاج عبد القوي »أن يجد قبر جده حيث أعطى لـ « محمد شعبان » ثلاث رسائل تساعده على إيجاد قبر جده الذي قيل إنه دفن في جبال الونشريس حسب الملفوظ الآتي:

" ثم التفت الحاج عبد القوي نحو الصندوق الخشبي،وأخرج منه ثلاث رسائل صفراء مغلفة بكاغط مقوى رمادي، وسلمها إلى ابنه قائلا بصوت صارم:

لقد حدثتك عن جدي الشيخ محمد المنفي، واليوم أريد أن تطلع على رسائله التي لا تقدر بثمن، ستجد فيها معلومات هامة لا يعرفها المؤرخون ورجال الحكومة. أحب أن تعرف كل شيء عن جدي. احذر أن تضيعها .إنها كنز ثمين ،تساوي كل مال الدنيا. حافظ عليها يا محمد".[3]

- **الشيخ محمد المنفي:** "ومن قادة ثورة سيدي الأزرق بلحاج. شارك في كل معاركها حيث ألقي عليه القبض في غابة وادي خلوق."[4] يشير هذا المقطع

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 15.
[2]- المرجع نفسه ، ص 94.
[3]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
[4]- المرجع نفسه ، ص 14.

إلى قضية الثورة وأثرها على المجتمع في إيقاظ الروح النضالية للمجتمع، من خلال القوة والعزيمة والشجاعة في محاربة المستعمر في شخصية « محمد المنفي» في تحقيق الأمن والسلم الاجتماعي.

2- ب: الشخصيات المهمشة:

- **الأم صفية:** وهي والدة «محمد شعبان» كانت معارضة لذهابه للبحث عن قبر جده، جاء كالآتي " والدته المنطوية على نفسها، لا تريده أن يبدد وقته في البحث عن هذا الشيخ ، فهي تريده أن يكمل نصف دينه قبل وفاتها".[1]

- فأمه كانت تريد تزويجه من المعلمة« زولة »لكنها فشلت في إقناعه.

- **أحمد الصم:** أحد الأشخاص المعارضين لـ «محمد شعبان» في رحلة البحث عن تاريخ الأجداد ويتجلى ذلك على لسان « أحمد الصم» :" كان لنا تاريخ أم لم يكن فنحن اليوم في حاجة إلى من يساعدنا لبناء مساكننا القديمة، وتعبيد الطريق، والحصول على الفروض لحفر الآبار وتربية الأبقار."[2] نجد كذلك في قوله : "التاريخ يصنع اليوم فدعك عن مطاردة أوهام الماضي"[3]، لكنه لم يستطع التأثير على «محمد شعبان»، وهي شخصية لم يكن لها حضور كبير في الرواية.
- **حليمة كناك:** وهي الفتاة التي تعرف عليها « محمد شعبان» في الفيس بوك والمقيمة في جزيرة كاليدونيا فبفضلها أصبحت لديه معلومات كثيرة عن الكاليدونيين من أصول جزائرية الذين عددهم لا يقل عن عشرين ألف نسمة حسب ما جاء في الرواية:" عثر على الفيسبوك وبعد بحث طويل،عن فتاة من جزيرة كاليدونيا الجديدة، تدعى أليمة كناك (ALIMA KANAK).لقب "كناك"اثار اهتمامه،واسمها لم يكن حليمة بنطق فرنسي،فطلب صداقتها ثم ارسلها باللغة الفرنسية عبر الخاص فردت عليه بسرعة اسعدته."()

[1]- محمد مفلاح، شبح الكاليدوني، ص 15.

- **فتحي فكاك:** وهو زميل« محمد شعبان » ورئيس مصلحة الكتاب، والذي عارض «محمد» لانشغاله بالتاريخ المحلي وحثه على مطالعة ما كتبه المؤرخون عن الجزائر المعاصرة وذكر له موقفهم المستهجن لكتابة التاريخ المحلي وظهر ذلك في الملفوظ الذي: " استغرب رئيس مصلحة الكتاب فتحي فكاك انشغال زميله بالتاريخ المحلي".[1]

– لكنه أيضا لم يستطع إقناع «محمد شعبان» ويظهر ذلك في قوله:" كان رد محمد شعبان عنيفا فاتهم هؤلاء المؤرخين بالكتابة الإيديولوجية التي أقصت ما أسمته بالتاريخ المحليمن مجال التدريس والتأليف." [2]

- **عاشور الزكري:** وهو الشخص الذي ساعد «محمد شعبان» لبلوغ هدفه حيث قدم له معلومات عن المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة وكورسيكا، ويظهر ذلك الملفوظ الآتي:"قضى محمد شعبان أكثر من ثلاث ساعات في بيت عاشور الزكري ،أفاده بمعلومات كثيرة عن المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة وكورسيكا وأمده بوثائق عن المظاهرة الشعبية التي قام بها سكان المنطقة ضد زيارة نابليون الثالث لمدينة غليزان في صيف 1865. قال له إن الإمبراطور لم يكن ينتظر تلك المظاهرة الشعبية المطلبية. تفاجأ الحاكم العام "ماكماهون" بما شاهده في ميدان المدينة فسارع إلى تهريب نابليون الثالث إلى مدينة مستغانم".[3]
- **بصافي المايدي:** هو معلم «محمد شعبان» في المرحلة الابتدائية، وهو من كان يحثه على الاجتهاد في دروسه وكان يقول للتلاميذ أنه من عائلة المنفي العريقة و ينص ذلك في الرواية : " و كان معلمه الأول ، بصافي المايدي ، يحثه على

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص47 .
[2]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[3]- المرجع نفسه، ص 78.

الاجتهاد في دروسه ويقول له، امام كل تلاميذ القسم، بانه من عائلة المنفي العريقة في العلم و التصوف والفروسية".[1]

- **عقيلة الكاف:** هي شخصية كان لها ظهور بسيط في الرواية، فهي تمثل سكرتيرة «محمد شعبان» و يتجسد ذلك في الرواية من خلال هذه العبارة : "حتى انتصبت أمامه سكرتيرته عقيلة الكاف وهي تبتسم ابتسامة ذات معنى".[2]
- **عبد الحليم الوقادي:** هو صديق «محمد شعبان»، وهو شخصية مثقفة وواعية حيث كان يدعو بعلمه وثقافته إلى التحرر، كما كان يناقش رسالة دكتوراه الموسومة بـ(تجديد الفكر الإسلامي النهضة والانتكاسات) غير أن أيادي الغدر اغتالته في العشرية السوداء الفترة التي عاش فيها الجزائريون مأساة حقيقية. نجد ذلك ي الرواية :" رحمك الله يا جاري و صديقي المغتال عبد الحليم الوقادي".[3]

–ويضيف كذلك:"كان صديقه المغتال حدثه كثيرا عن الفلسفة و الكتاب العزاب ...نيتشيه،و سارتر ، وجمال الدين ، وعبد الرحمن بدوي ، و العقاد ، ووو.... و هو من حبب اليه حياة العزوبية ، و اغراه بالتفرج على فيلم زوربا اليوناني الذي عرضته قاعة السنيما "كارينو" ". [4]

- **زولة:** هي معلمة، و يظهر في الرواية :" المعلمة المتنقبة زولة ، التي أرادت الحاجة صافية أن تزوجها لابنها محمد شعبان وهي ابنة الجارة كلثوم الوادية الكفيفة وكريمة العلامة المؤرخ الجزائري ابي راس الناصري المعسكري، ودفين مدينة مازونة.[5]
- **سي البودالي:** هي الشخصية التي التقاها «محمد شعبان» في جبال الونشريس وهو من دلّه على قبر جد والده ، قائلا له :"شكرا لك يا سي البودالي...".[6]

---

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 06.
[2]- المرجع نفسه ، ص 07.
[3]- المرجع نفسه ، ص 33.
[4]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[5]- المرجع نفسه ، ص 8.
[6]- المرجع نفسه ، ص 103.

– وأضاف :"ومع بزوغ الفجر، استيقظ الرجلان، وغادرا الزاوية في اتجاه الجبال الشاهقة...". [1]

- **الشيخ التواتي:** "وقد شارك في ثورة قادها الحاج طيب المفلحي في زمن عملية التلقيب التي شرع فيها حاكم بلدية زمورة المختلطة."[2] يتضح من خلال هذا المقطع مشاركة «التواتي» في الثورة، والذي يحمل النضال، والعزيمة والشجاعة والقوة.
- **سليمان الغشي:** " يا الحاج سليمان الغشي الفاسد المغرور، أنت وأمثالك سبب هذه الأمراض. جشع ونفاق وانتهازية. تبا لكم!".[3] ورد هنا الأثر الاجتماعي من خلال هذه الشخصية، وأفعالها حيث تحمل صفات سلبية من غرور وجشع ونفاق.
- **قاسم المهندس:** "و لكن قاسم المهندس لم ينصت إلى الحاج عبد القوي، كان منشغلا بتعليمات رئيس البلدية ومسؤول قسمة الحزب الواحد وتوجيهاتهما لترميم العمارات."[4] يتجلى هنا الأثر الاجتماعي، من خلال مهنة«قاسم» التي تساهم في ترميم وبناء السكن الاجتماعي، الذي يحوي ويأوي أفراد المجتمع في هذه الحياة القاسية.

3–الأمكنة المرتبطة بالرواية:

يعتبر المكان من عناصر البنية السردية للرواية حيث تستند إليه كل مكونات النص السردي، فهو يكشف عن ثقافة المجتمع ويعرب عن فكره وحضارته، انطلاقا من العلاقة الكائنة بين المجتمع والمكان ،نلاحظ التنوع من خلال :

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني، ص 103 .
[2]- المرجع نفسه ، ص :57-58.
[3]- المرجع نفسه ، ص 11.
[4]- المرجع نفسه ، ص 50.

- **كاليدونيا:** "نعيش في بلاد الكاليدون، مع إخوان كثريين عوقبوا بالنفي وهم من أولاد سيدي الشيخ، وسعيدة، و معسكر، و ازديف، و ناس قسمنطينة ،و الورسنس."[1] تعد كاليدونيا المكان الذي دارت فيه أحداث الرواية، ويتجلى الأثر الاجتماعي فيها من خلال نفي وسجن نخبة من المجتمع الجزائري في كاليدونيا.
- **غليزان:** "استقر في مدينة غليزان منذ بداية القرن الماضي و تصدى لتعليم الاطفال في كتاب بحي القرابة".[2] يبرز الأثر الاجتماعي من خلال احتواء المجتمع على أفعال وسلوكيات، فغليزان موطن استقرار معظم أبطال الرواية، حيث أظهر الروائي حقائق تاريخية مهمة عن هذه الولاية ، فقد تحدث عن تاريخها الثوري والثقافي العريق. " منذ تلك اللحظة رغب في البحث عن الكتب والوثائق التي تطرقت الى تاريخ المنفيين. قلب رفوف مكتبة الديوان، ولم يعثر فيها على أي كتاب تناول مؤلفه تاريخ منطقة غليزان...وفكر أن يزور المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة بعد مشاركته خلال الشهر القادم في اجتماع تنظمه الوزارة الوصية لتقييم المهرجانات الثقافية ... تعجب كثيرا حين رآه مهتما بثورات وانتفاضات منطقة غليزان".[3]
- **دوار الشيخ:**"ما أجل الحياة في أحضان الطبيعة الخلابة! نحن شوهتنا المدينة ."[4] يبرز هنا مكان الدوار بما تحمله ملامح الطبيعة وأثرها على المجتمع.
- **المنزل:** هو المكان الذي يشعرُ بهِ بالراحة النفسية من ضغوط العمل ومن الضغوط الناتجة عن مخالطة الناس، فهو المكان الأول الذي يلجأ إليهِ

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 37 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 110.
[3]- المرجع نفسه ، ص 47.
[4]- المرجع نفسه ، ص 90.

الإنسان ليشعرَ بالهدوء والاستجمام، وينالَ قسطًا من الراحة والاطمئنان.

كان المنزل يقع في وسط المدينة بمجمع سكني يخص أفراد عائلة «محمد شعبان»،فالمنزل في الرواية بالنسبة للشخصية البطلة مصدر قلق بعد أن كان يحلم بسكن جديد هو وأفراد العمارة " لقد وعدهم "حمو منجل"، عضو المجلس الشعبي البلدي ، بالرحيل قبل انقضاء هذا الشهر... ولكن الخوف من الوعود الكاذبة ظل، مهيمنا على نفوس سكان العمارة المرتجفة من أهوال الطبيعة".[1]

- **المكتب:** هو المكان أو الفضاء الذي كان «محمد شعبان» يعمل فيه وكان يجلس وحيدا متأملا و فيه عدة أشياء تحز في نفسه، منها : أزمة السكن التي تؤرق عائلته وتارة أخرى يتذكر صديقه المقتول في العشرية السوداء وتارة أخرى كان يقضي بعض وقته في الترنم بأغاني مطربي البدوي والشعبي.

"تثاؤب ووقف أمام مكتبة الخشبي العريض ، ثم وضع قرصا من علبة دواء البراسيتامول على طرف لسانه الأحمر، وابتلعه مستعينا بجرعة ماء من قارورة بلاستيكية كانت على المكتب وحين التقت عيناه بماركة القارورة "سعيدة"، تذكر أغنية الشيخة الريمي:(آه سعيدة بعيدة والماشينة غادية)."[2]

- **المقهى:**" كان يقضي جل وقته في التسكع و الجلوس في مقهى السعادة رفقة بعض الحالمين بالكتابة و التوظيف و الثراء و الترقية الاجتماعية كادت البطالة تدمره لولا منصور الخزاني."[3] يبنى هذا المقطع (المقهى) الذي يعد مكانا شعبيا يقصده مجتمع الرواية ، مما يزيد من التواصل بين أطراف الشخصيات باختلاف فئاتهم و أعمارهم ويوفر لهم الراحة والاستمتاع .

---

[1]- محمد مفلاح ،شبح الكاليدوني ، ص 09.
[2]- المرجع نفسه ، ص 05.
[3]- المرجع نفسه ، ص 18.

- **السوق السوداء**:"كانت تحمي فيها العجائز الفقيرات الأواني المنزلية الفخارية لبيعها.. ومحال لبيع الخضر واللحوم، والأحذية والألبسة المستوردة في ساحة "المرشي نوار" (السوق السوداء) ،وسط مقاهي شعبية و محال لبيع ...،و قد توسعت اليوم إلى محال للخضر و اللحوم و الأحذية و الألبسة الجاهزة المستوردة من الصين و تركيا و دول أروبا."[1] يدور هذا المقطع حول السوق الذي يعد مكان التقاء الناس، بمختلف الطبقات الاجتماعية.
- **المسجد**: "الشيخ محمد المنفي الذي تولى التدريس بجامع الخلالة قبل أن يفتح كتابه بمنطقة بوسليط ."[2] يبرز هنا الأثر الثقافي من خلال التدريس وترسيخ الثقافة الدينية الإسلامية، حيث يعد المسجد مكانا للتعليم وإيصال الثقافة الإسلامية للمجتمع .وكما حملت الأمكنة المغلقة دلالات ثقافية واجتماعية تؤثر في المجتمع وتتمثل في:
- **أضرحة الأولياء الصالحين**: "هؤلاء المعزون الواقفون في خشوع، كما يرتدون العباءات البيضاء... وكأنهم يعلنون عن صفاء سرائرهم أمام الله ونعش الميت وضريح سيدي عبد القادر."[3] يتجلى من خلال هذا زيارة الأضرحة، التي تحمل طابعا قدسيا حين يقوم الناس بزيارتها لطلب قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم.
- **الغرفة**: " وتحرك نحو غرفة نومه ، التي تحوي سريرا خشبيا على يمينه طاولة بلاستيكية... وفي الجهة المقابلة للسرير، كانت خزانة ذات ثلاثة رفوف تزينها مجلدات ضخمة وكتبه الجامعية ، و عليها جهاز تلفاز صغير الحجم و كان كرسيه البلاستيكي الأبيض بجانب النافذة ."[4] نجد هنا تدقيق

1- محمد مفلاح ، شبح الكايدوني، ص 12.
2- المرجع نفسه ، ص 101.
3- المرجع نفسه ، ص 109 .
4- المرجع نفسه ، ص 35.

مفصل لغرفة الشخصية« محمد شعبان» وكذلك يظهر إبراز هذا الأثر الثقافي من خلال تواجد المحتويات الثقافية التي تحتوي على أقراص من الأغاني الشعبية ومجلدات وكتب، فتواجد كل هذا في الغرفة جعلها تحمل في طياتها أثرا مما يساهم في تحديد المستوى الفكري والثقافي.

- **البلدية:** " ... حي ديار الورد الذي تشققت جدرانها ، وشرفاتها الجماعية الطويلة. سارعت وقتذاك مصالح البلدية إلى ترميمها... ".[1] يبرز هنا الأثر الاجتماعي للبلدية من حيث خدمة مصالح وشؤون المجتمع من أجل ضمان استقرار حياة المجتمع.

[1]- محمد مفلاح ،شبح الكاليدوني ، ص 49.

خاتمة

في ختام رحلتي التي قضيتها في هذا البحث المعنون بـ: "التّاريخ المغّيب في رواية شبح الكاليدوني لمحمّد مفلاح" لنقف عند آخر جزئية من هذا البحث ،لكي نرصد فيه أهم النتائج التي توصلت إليها والتي ألخصها كالأتي :

* التاريخ والرواية وجهان لعملة واحدة، فكلاهما مكمّلان لبعضهم البعض بحيث أنّ التاريخ يحمل في جعبته جزءا روائيا مهما و أما الرواية فهي تحمل في بنائها عناصر تاريخية جلية.

* نجد إقبال القرّاء على الرواية التاريخية يعود إلى الحاجة والرّغبة في المعرفة التي تحملها الرواية التاريخية بداخلها من جهة ،ومن جهة أخرى المتعة المتحققة من هذه والطموح أن يصير التاريخ أمرا محببا يرغب الناس بقراءته والاطلاع عليه .

* يعد الإقبال والدافع وراء الكتابة الروائية التاريخية منتشر ومزدهر لما تملكه من مقومات بنائية وجمالية إضافة إلى كونها الشكل الأنسب الذي عبره يصاغ الأديب العربي رؤيته للواقع العربي المزري من خلال إحداث تغيير ومواجهة التخلف والقهر والنهوض من السبات الطويل.

* تتنوع وتختلف أسباب كتابه رواية التاريخية فقد تسعى إلى تنقية التاريخ والكذب وتشويه الحقائق التاريخية إذ يفرض ذلك الدّقة والفحص والتمحيص للتّأكد من صحة كل كلمة تكتب وتدون في الرواية التاريخية.

* الكاتب والروائي يمكنه تعرية التاريخ بطريقة تخيلية إبداعية بينما المؤرخ يتحكّم ويعود دائما إلى السّلطة.

* هناك تاريخ لم يؤرّخ له التّاريخ ولم يدرج ضمن التاريخ الرسمي .

* يحيلنا الروائي الجزائري« محمّد مفلاح » في رواية "شبح الكاليدوني" إلى حكايات الجزائريين الذين نفاهم الاستعمار الفرنسي إلى جزيرة كاليدونيا.

* إنّ تجربة الكاتب عند « محمد مفلاح » تطرح إشكالية الجمع بين الأدبي والتاريخي، إذ تستكشف ذلك التّعاليق الكائن بين راهن الإنسان وذاكرة أمته، فحاضر الإنسان هو غرس ماضيه، ومستقبله جني حاضره.

و أخيرا، أرجو أن يساهم هذا البحث ولو بالقليل في إثراء المجال الأدبي والعلمي، ومن المؤكّد أنّ هذه المحاولة تحتاج إلى التمحيص والتدقيق فالمجال مفتوح أمام غيرنا من الباحثين للتّوسع والبحث في هذا الموضوع ، أتمنى أن تكون نقطة نهاية بحثي هذا هي نقطة بداية لبحوث أخرى، وفي الأخير نحمد الله عزّ وجلّ إلى ما وفقني إليه.

الملحق

التعريف بالروائي:

وُلد "محمد مفلاح" يوم 28 ديسمبر 1953 بولاية غليزان، الجزائر، أنجز العديد من الأعمال الإبداعية والأبحاث المتعلقة بتاريخ وتراث منطقة غليزان. وهو اليوم بعد تقاعده، متفرغ للكتابة الإبداعية والبحث في تاريخ منطقة غليزان وتراثها الثقافي.

نشر مقالاته الأولى بالملحق الثقافي لـ"جريدة الشعب"، الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار (1973-1976)، كما نشر قصصه الأولى في بداية السبعينيات من القرن الماضي بالجرائد والمجلات الوطنية ومنها: (الوحدة، آمال، الجزائرية، النادي الأدبي لجريدة الجمهورية)، وطبعها سنة 1983 تحت عنوان "السائق" شرع في التدريس منذ سنة 1971 بمدرسة سعيد زموشي (غليزان) ثم بمتوسطة 19 جوان بغليزان، ومارس العمل النقابي منذ 1972 (إذ انتخب أمينا عاما للاتحاد الولائي بغليزان، وعضوا المجلس الوطني (1984- 1990)، ثم انتخب عضوا بالأمانة الوطنية للاتحاد العام للعمال الجزائريين (1990-1994).

برلماني سابق خلال عهدتين: (عهدة 1997-2002) و(عهدة 2002-2007) وتولى عدة مسؤوليات بالمجلس الشعبي الوطني منها مقرر ثم نائب رئيس المجموعة البرلمانية لحزب جبهة التحرير الوطني، ونائب رئيس لجنة الثقافة والسياحة والاتصال، ونائب رئيس اللجنة القانونية.

انتخب عضوا بالأمانة الوطنية لاتحاد الكتاب الجزائريين (1998-2001)، وأعيد انتخابه عضوا بالمجلس الوطني للاتحاد عام 2001.

من مؤلفاته، "الانفجار" التي نال عنها الجائزة الثانية في مسابقة نظمتها وزارة الثقافة سنة 1982 بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال، "هموم الزمن الفلاقي" التي

نال عنها الجائزة الأولى بمناسبة الذكرى الخمسين للثورة (1984)، "زمن العشق والأخطار، بيت الحمراء، الانهيار، خيرة والجبال، الكافية والوشام، الوساوس الغريبة، عائلة من فخار، انكسار، شعلة المايدة " وهي رواية تاريخية عن تحرير مدينة وهران في العهد العثماني، "شبح الكاليدوني" رواية تاريخية عن المنفيين إلى جزيرة كاليدونيا، وأصدر الأديب والباحث «محمد مفلاح» سبعة كتب في التاريخ والتراجم.

ونشر العديد من المقالات بالصفحة الثقافية لـ"جريدة الجمهورية "(1984-1985)، والقسم الثقافي لـ "جريدة صوت الأحرار" (1999-2006)، وأسبوعية "المحقق"(2007-2008).

أنجز أكثر من عشر تمثيليات للإذاعة الوطنية (1973-1978) ومنها: "شاعر القرابة، فلسطين الجريحة، أبناء الثورة، الأرملة، فتاة الحاج..." كما ألف سيناريو للتلفزة الجزائرية بعنوان "حانت الساعة".

إضافة إلى ذلك نشر العديد من المقالات بالصفحة الثقافية لـ"جريدة الجمهوري" (1984-1985)، والقسم الثقافي لجريدة "صوت الأحرار" (1999-2006)، وأسبوعية "المحقق" (2007-2008). سادسا في برامج الإذاعة: أسهم في إعداد حصص تاريخية وثقافية لإذاعة غليزان منذ افتتاحها سنة 2005، منها "أعلام غليزان".

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

1. محمد مفلاح، رواية شبح الكاليدوني، دار المنتهى للنشر،ط1، الجزائر، 2015.

2-المعاجم والقواميس:

1. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، 2000.
2. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني للنشر، ط1، بيروت، 1985.
3. مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، ط1، مج1، تونس، 2010.

3-الكتب:

1. حلمي بدير، دراسات في الرواية والقصة، دار المعارف،ط1، القاهرة ،1985.
2. سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 2003.
3. عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، ط1،القاهرة، 1982.
4. عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ (سلطان الحكاية وحكاية السلطان)، دار الكاتب الجديد المتحدة، ط1، 2010.
5. فيصل الدراج، الرواية والتأويل التاريخ، ج1، ط1، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، 2004.

6. قاسم عبده قاسم "الرواية التاريخية العربية: زمن الازدهار" في تجارب في الإبداع الأدبي، دار العين للدراسات و البحوث الانسانية أو الاجتماعية ، مصر ،2010.
7. كمال الرياحي، حركة السرد الروائي ومناخاته (في استراتيجيات التشكيل)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005، ص17.
8. –لوكاتش، جورج، الرواية التاريخية، تر: صلاح جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت، 1987.
9. محمد القاضي، الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي. تونس: دار المعرفة للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 2008.
10. محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008

4–المجلات والدوريات:

1. هالة أخمد فؤاد. "المتخيل الروائي بين التاريخي والميتافيزيقي". في: تجارب في الإبداع العربي. الكويت: وزارة الإعلام–مجلة العربي. ط1، 2009م، ص 250–253.
2. مفيد نجم، حوار الرواية والتاريخ، يوميات مجلة الجديد، أبو ظبي، 2021.
3. عبد الفتاح الجحمري، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول، مج16، ع1، 1997
4. فاطمة إلياس، من محاكاة التاريخ إلى محاكمة التاريخ (الرّواية التاريخية بين الواقع التخييل) مجلة علامات في النقد، النادي الثقافي بجدة، ج68، مج17، فبراير 2009.
5.محمد أمين العالم، الرواية بين زمنتيها وزمانها،فصول، ع1 ،مصر،01 يناير 1997.

6.سعيد يقطين ،الرواية التاريخية و قضايا النوع الادبي ،مجلة نزوى، ع44
http://www.nizwa.com/articles.php . بتاريخ 22-07-2009م

فهرس

الموضوعات :

العنوان	الصفحة
الشكر-الاهداء	
المقدمة	5-1
الفصل الأول: تحديد المفاهيم	1
تعريف الرواية التاريخية	3
بين المؤرخ والروائي	7
التاريخ الرسمي والتاريخ الهامشي	10
الفصل الثاني: تمظهرات التاريخ في رواية "شبح الكاليدوني"	16
ملخص الرواية	17
الأحداث التاريخية	18
الأحداث المرتبطة بالرواية	21
الشخصيات المرتبطة بالرواية	27
الشخصيات المركزية	27
الشخصيات المهمشة	30
الأمكنة المرتبطة بالرواية	34
خاتمة	38
الملحق	40
قائمة المصادر والمراجع	43
فهرس الموضوعات	47